القراءة
البدء والاستمرار

إعداد

يوسف بن محمد بن إبراهيم العتيق

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الصميعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه وآلائه، وأشهد أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له في أرضه وسمائه، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المفضَّل على جميع رسله وأنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأوليائه، وسلم تسليمًا.

أمَّا بعد: فإنَّ أفضل ما يعمر به المرء ساعات ليله ونهاره عبادة ربِّه جلَّ وعلا، فهي العمر الحقيقي للإنسان الذي سيجني ثماره بعد الممات.

وإنَّ من فضل العبادات وأنفع القربات طلب العلم وتحصيله بنيَّة خالصة. ولا يتأتَّى للإنسان طلب العلم إلاَّ عن طريق الكتب، قراءةً على الشيوخ أو بانفراد، وكلُّ ذلك لا بدَّ له من ضوابط.

فالكتُب تختلف باختلاف محتواها ومؤلِّفيها، فهي إمَّا داء أو دواء، والقراءة فيها بانفرادٍ لها محاذير.

فحاجة طلبة العلم إذن قائمةٌ إلى من

يشحذ هممهم للقراءة والطلب، وإلى من يُعرِّفهم بالكتُب ومؤلِّفيها، وما ينبغي أن يقرأ منها ويترك، وما ينبغي أن يبتدئ به طالب العلم، وما ينبغي أن يؤجِّل إلى غير ذلك ممَّا تجده في هذه الرسالة التي حوت دُررًا على صغر حجمها، نسأل الله أن ينفع بها، ويجزي مؤلِّفها الآخر يوسف بن محمد العتيق خير الجزاء على ما بذل من جهد في جمع مادتها، وأن يكثر في شباب المسلمين من أمثاله، وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل والثبات على دينه حتى الممات .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

سعد بن عبد الله آل حميد

الرياض في 29/10/1412هـ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

فإنَّ الاشتغال بالعلم من أفضل القُربات وأجلَّ الطاعات وأهم أنواع الخير وآكد العبادات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات وشمَّر في إدراكه والتمكُّن فيه أصحاب الأنفس الزكيات وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التحلِّي به مستبقو المكرمات.

فلمَّا كان العلم بهذه المزية كان لزامًا على طالبه أن يعلم الطرق الموصلة إليه والأسباب المعينة عليه، فإنَّ لكلِّ فنِّ أصولاً، ومن حرم الأصول حرم الوصول.

أخي في الله:

تجد في هذه الرسالة بعض القواعد والأصول النافعة بإذن الله، في موضوع القراءة ومطالعة الكتب والعناية بها، كتبتها

لنفسي ومن هو في أول الطريق سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها كلَّ مسلم[1].

ولا تنسى أخي في الله صاحبها بدعوة في ظهر الغيب أن يرزقه الله الإخلاص والعلم النافع.

كتبه يوسف بن محمد العتيق

الرياض
2/11/1412هـ

1 (?) في الأصل كانت هذه الرسالة بعنـوان «إتحـاف الإخوان والأحباب بأهمية القراءة ومجالسة الكتــاب» فزدت عليها وحذفت بعض ما فيهـا ثم هي الآن بهـذه الصورة.

الفصل الأول

أهمية وجود المكتبة لطالب العلم

والحرص على اقتناء ما أمكن منها [1]

1 (?) وسيأتي في فصل لاحق قوام المكتبة إن شاء الله.

(1) توطئه

تنوعت مصادر المعرفة من مسموع أو مرئي أو مقروء ومع هذا التنوع فإنه بدون شك يظل الكتاب في طليعة هذه المصادر. فهو (نعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل.

والكتاب وعاء ملئ علماء وظرف حشي ظرفا وإنا شحن مزاحا وجدا، إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره ، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظة [1]).

بل إنَّ الكتاب هو قيد العلم، كما قال ﷺ: «**قيِّدوا العلم بالكتابة**»[2].

---

1 (?) الحيوان للجاحظ (1/38-39).

2 (?) أخرجه الحاكم (1/106) والخطيب في تقييد العلم (68-69) عن عبد الله بن عمرو وأخرجه الخطيب أيضا عن أنس (70) وصححه العلامة الألباني.

وأخرجه الحاكم (1/106) عن عمر موقوفا وصححه

ويتجلَّى هذا الأمر واضحًا لِمن اطَّلع على ما قاله أهل العلم في كيفية تدوين سُنة رسول الله ﷺ، فبفضل الله ثم جهود علماء السنة الجبارة في جمع حديث رسول الله ﷺ وتدوينه في بطون الكتب أصبحت السنة الآن في متناول أيدينا بين طيَّات الكتب المخطوط منها والمطبوع.

(2) عناية السلف بالكتاب

وإنَّ ممَّا يدعو إلى العجب ويُثير الدهشة ما صدر عن علماء السلف في موضوع العناية بالكتاب، فقد وضعوا في كتُب آداب طالب العلم فصولاً وأبوابًا في أدب طالب العلم مع كتابه وكيفية النسخ والحثِّ على الجدِّ من الورق وصفة القلب الذي يكتب به والحبر ولونه[1] إلى غير ذلك من الآداب

وأقـره الـذهبي وقـال وصـح مثلـه عن أنس. أخرجـه الطـبراني في الكبـير (1/246 رقم 700) والقاضـي عياض في الإلماع (147) وقال الهيثمي في المجمـع (1/157) رواه الطـبراني في الكبـير ورجالـه رجـال الصحيح..

1 (?) ومن اللطائف أنَّ الحافـظ ابن حجـر رحمـه اللـه استعمل ثلاثة ألوان في كتابة «الإصـابة» الـذي ألفـه على مدى أربعين عامًا، قال رحمه الله تعالى: «وقـد

الخاصة بطالب العلم مع الكتاب[1].

فهذا كان حرصهم على جمع الكتب عظيمًا وحبُّهم لها شديدًا فهي جليسهم الذي لا يُمَلُّ وصاحبهم في السفر ومائدتهم في الجلسات وأنيسهم في الخلوات، بل إن منهم من قال: «لا يدخل إلا سوق الكتب والسلاح»[2].

(3) أمثلة على ما سبق

قال ابن عبد البر:

وقد كان عبد الله بن عبد الله ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز لا يجالس الناس. ونزل المقبرة فكان لا يكاد يُرى إلاَّ وفي يده دفتر، فسُئل عن ذلك فقال: «لم أرَ قط أوعظ من قبرٍ ولا أمتع من دفترٍ ولا

قيـدت بـالحمرة أولاً ثم بالصـفرة ثم بصـورة مـا يخالطهـا، وكـل ذلـك قبـل كتابـة فصـل المبهم من الرجال والنساء».اهـ من كتاب ابن حجـر العسـقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب الاصـابة (1/699).

1 (?) طـال : الجـامع للخطيب البغـدادي (1/249-280) وتقييد العلم ص 114-150.

2 (?) تفسـير القرطـبي (13/17) وهـذا الكلام أتى في سياق ذم دخول السوق لما فيه من فتن ومنكرات.

أسلم من وِحدة»[1].

بل إن أحدهم لامته زوجته على كثرة ما ينفق على الكتب فقال يحكي حاله معها:

وقَائلةٍ أَنفقتَ فِي
يَمينُكَ مِنْ مالٍ فَقُلتُ
لَعَلِّي أَرَى فِيهَا كِتابًا
بِيَمِينِي[2]

وهذا الإمام أبو داود يفصل ملابسه ولا ينسى الكتب فقد فصَّل كمًّا واسعًا وكمًّا ضيِّقًا، فقيل له في ذلك فقال: الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه[3].

وهذا العالم الرباني ابن القيم يذكر عنه من ترجم له أنه تهيَّأ له من الكتُب ما لم يتهيَّأ لغيره[4].

---

1 (?) جـامع بيـان العلم ص 583، ولا يُفهم من هـذا الكلام الحث على العزلـة، طـالع مجمـوع الفتـاوى (10/426).

2 (?) ذيل ابن عبـد الهـادي علي طبقـات ابن رجب ص 35.

3 (?) تذكرة الحفاظ (2/592).

4 (?) التقريب لفقه ابن القيم (1/52-54).

بل إنه في كتاب واحد من كتبه - وهو «اجتماع الجيوش الإسلامية» - رجع إلى ما يزيد على المائة من الكتب في إعداده[1].

ومن الطريف أنَّ الخطيب البغدادي رحمه الله وضع فصلا بعنوان «مَن استوحش من الخليط والمعاشرة فجعل أنسه النظر في الدفاتر»[2].

أخي في الله..

لعلَّ فيما سبق من الأخبار وما سيأتي من القصص إن شاء الله لفتة لحال الكثير ممَّن زهد في اقتناء الكتب النافعة كسلاً أو إهمالاً، فعليه أن يهبَّ لاقتنائها قبل كثرة الأعمال والأشغال، وقبل أن يتمنى وجودها فلا توفَّر لسبب أو لآخر.

***

1 (?) تهذيب اجتماع الجيوش الإسلامية ص11.
2 (?) تقييد العلم ص142.

الفصل الثاني

أهميـة القـراءة [1]

1 (?) في الفصــل الماضــي جــرى الكلام على جمــع الكتب أما هذا فعن قراءتها.

(1) من ثمار القراءة

لا عجب ولا غرابة أن يكون من أسباب تأخر أمة من الأمم هجرها للقراءة؛ فهي مصدر الوعي في المجتمعات، وهي نماء العقول وإبصار للأعمى ومجالسة للعلماء والفضلاء، وبها تعرف أخبار السالفين ومنها تُعلم أحوال المعاصرين.

ويزداد حزنك أخي حينما تعلم أنَّ أحد اليهود قال مقولة تحزِن كلَّ مسلم، فقد لامه أصحابه من المغضوب عليهم عن تصريحٍ له يكشف عن أطماعهم فقال: «اطمئنوا؛ فإن العرب لا يقرءون»[1].

لِمثلِ هَذا يذُوبُ القَلبُ

إنْ كَانَ فِي القَلبِ

(2) السلف والقراءة

أخي في الله:

أسوق إليك بعضًا من قصص العلماء سلفًا وخلفًا، وكيف كانت قراءتهم، لعلها أن توقظ الهمة إلى إدراك ما وصل إليه سلفنا

---

1 (?) أين الخلل ص11.

الصالح من صحَّة المعتقد والسلوك والآداب التي لا تُعرف عند الكثير إلاَّ اسمًا.

فمنهم ابن شهاب الزهري يرحمه الله تعالى تخاطبه زوجته فتقول له: والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر [1]، ذلك لأنه اشتغل بقراءة الكتب عنها.

ويقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى حينما تكلم عن الهمم وأنها قد ضعفت في زمنه!!: «وإني أخبر عن حالي ما أشبع من مطالعة الكتُب، وإذا رأيت كتابًا لم أره فكأني وقعت على كنز ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي وكتُب شيخنا عبد الوهاب وابن ناصر وكتب أبي محمد بن الخشاب وكانت أحمالاً وغير ذلك من كلِّ كتابٍ أقدر عليه. ولو قلت: "إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب»[2].

ويقول ابن خلِّكان في سبب وفاة ثعلب

---

1 (?) من روائع حضارتنا ص 161.
2 (?) صيد الخاطر ص 366-367.

النحوي:

إنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان لحقه صممٌ لا يسمع إلا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصدمته فرس فألقته في هوَّة، فمات ثاني يوم[1].

وأما الخطيب البغدادي فقد قرأ على كريمة - وهي إحدى راويات الحديث - صحيح البخاري في خمسة أيام[2].

وهذا شيخ الإسلام يطالع في مسألة من المسائل فانظر إلى قوله:

«وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عند أحد من الصحابة أنه أول شيئًا من آيات الصفات»[3].

وهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله قرأ

---

1 (?)وفيات الأعيان (1/104).
2 (?) طبقات الشافعية (4/30).
3 (?) التفسير الكبير (5/438).

صحيح البخاري في عشرة مجالس من بعد صلاة الظهر إلى العصر وصحيح مسلم في خمسة مجالس في نحو يومين وشطر يوم والنسائي الكبير في عشرة مجالس كلّ مجلس منها قريب من أربعة ساعات وأغرب ما وقع له في الإسراع أنه قرأ في رحلته الشامية المعجم الصغير للطبراني(*) في مجلس واحد فيما بين صلاة الظهر والعصر وفي مدة إقامته بدمشق وكانت شهرين وثلاثة أشهر قرأ فيها قريبًا من مائة مجلَّد مع ما يعلقه ويقضيه من أشغاله[1].

واختتم هذا الفصل بكلام عن أحد المعاصرين وهو فضيلة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، يقول عنه الشيخ محمد الشيباني: ولعل الاهتمام بالحديث أصبح شغله الشاغل، حتى كان يغلق محلّه ويذهب إلى المكتبة الظاهرية ويبقى فيها اثنتي عشرة ساعة، لا يفتر عن

---

* (*) وهذه القراءة تسمى «قراءة التصحيح والضبط»، وقد عمل بها أهل العلم راجع حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد ص (65-66)

1 (?) ذيل تذكرة الحافظ لحفظ الألحاظ (5/336-337).

المطالعة والتعليق والتحقيق إلاّ أثناء فترات الصلاة، وكان يتناول طعامه البسيط في المكتبة في كثير من الأحيان.

ولعمري هكذا الأوائل من أهل الحديث أمثال ابن الجوزي، فقد كان يقول: "كنت آكل الخبز اليابس وأشرب عليه الماء عند نهر عيسى بكورة البصرة وكنت أعتبره وقتًا، وذلك لألحق أهل العلم لآخذ عنهم ولا يفوتني شيء منهم".

ولهذا قدَّرته إدارة المكتبة فخصَّصت له غرفة خاصة به ليقوم فيها مع بعض أمهات المصادر بأبحاثه العلمية المفيدة، فكان يدخل قبل الموظفين صباحًا وفي بعض الأحيان - كان من عادة الموظفين الانصراف إلى بيوتهم ظهرًا ثم لا يعودون، ولكن الشيخ يبقى في المكتبة ما شاء الله له البقاء، فربما يصلِّي العشاء ثم ينصرف. وإنَّ كلَّ من رآه في المكتبة آنذاك يعرف مدى اجتهاده وحرصه على الاستفادة من وقته، حتى أنَّ كثيرًا من الناس كانوا يحملون عليه لكثرة انهماكه في المطالعة والتأليف أثناء زيارتهم له في المكتبة.

وبالطبع كان للشيخ عذره لأنه لا يريد إضاعة الوقت بالترحاب والمجاملة، وكان يجيب عن بعض الأسئلة التي توجَّه إليه وهو ينظر في الكتاب دون أن يرفع بصره إلى محدثه بأوجز عبارة تؤدي الغرض.

وكما يقول عنه الأستاذ محمد الصباغ: عين في الكتاب وعين في السائل[1].

أخي في الله.

لعل في هذه القصص رفعًا لهمتك وإيقاظًا لك من غفلتك ورحم الله من قال: «القصص جند من جند الله [2]»[*]

---

[1] (?) حياة الألباني (1/2ح - 3ح).

[2] (?) تاريخ القصص ص 12.

[*] (*) ومن أراد التوسـع في هـذا الجـانب فعليـه بالمطالعة في كتب التراجم والسير.

الفصل الثالث

قواعد قبل القراءة

(1) الإخلاص

ولا شك أنَّ القراءة - إذا أخلصت النية فيها - عبادة عظيمة، فطالب العلم يقرأ الكتاب لله عز وجل، فهو لا يقرأ ليقال عنه أنه عالم أو واسع الاطلاع أو مثقف ... أو... إلخ.

فهذه كلُّها غايات محرمة في دين الله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

"والنية هي ممَّا يخفيه الإنسان في نفسه؛ فإن كان قصده ابتغاء وجه ربِّه الأعلى استحقَّ الثواب، وإن كان قصده رياء الناس استحق العقاب كما قال تعالى **﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾**[1].

وقال: **﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾**[2].

---

1 (?) سورة الماعون آية رقم 4-6.
2 (?) سورة النساء آية رقم (142).

وفي حديث أبي هريرة الصحيح[1]. في الثلاثة الذين أول من تُسعَّر بهم النار في الذي تعلم وعلَّم ليقال: عالم قارئ، والذي قاتل ليُقال جريءٌ وشجاع، والذي تصدَّق ليقال جوادٌ كريم. فهؤلاء إنما كان قصدهم مدح الناس لهم وتعظيمهم لهم وطلب الجاه عندهم، لم يقصدوا بذلك وجه الله، وإن كانت صور أعمالهم صورةً حسنة، فهؤلاء إذا حوسبوا كانوا ممَّن يستحق العذاب، كما في الحديث: «**من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فله من عمله النار**»[2].

وفي الحديث الآخر: «**من طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يطالبه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يرح**

---

1 (?) أخرجه احمد (2/322) ومسلم (3/1513-1514) رقم 1905 والنسائي (6/23-24 رقم 3137) والحديث ذكره شيخ الإسلام بالمعنى.

2 (?) أخرجه الترمذي (5/32 رقم 2654) بنحوه عن كعب رضي الله عنه وقال الألباني وحسن أ.هـ. وله شواهد عن عدد من الصحابة. طالع صحيح الترغيب (1/118-119)

رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[1][2].

فصحِّحْ النية قبل قراءة أيَّ كتاب.

* * *

(2) وجود الغاية

فطالب العلم يقرأ لغايات عظيمة فهو يقرأ لرفع الجهل عن نفسه والعمل بالعلم والدعوة إليه والدفاع عن دين الله.

فإنَّ المسلم في كلِّ عصرٍ يواجه عدوًّا شرسًا من يهود ونصارى ومنافقين وأصحاب مذاهب هدَّامة، ولا سبيل لردِّ هؤلاء إلاَّ بالفهم السليم للكتاب والسنة وقراءتها قراءة جادة ودراسة علوم الآلة الموصلة إلى فهمها من أصول الحديث وأصول الفقه وقواعد اللغة العربية.

* * *

1 (?) أخرجه أبو داود (3/323 رقم 3664) وابن ماجة (1/92-93 رقم 252) وعن أبي هريــرة بنحــوه دون قوله (وإن ريحها..) وصححه الألباني.

2 (?) مجموع الفتاوى (14/113).

(3) الاستشارة والسؤال

كما قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1].

فسؤال أهل العلم والمعرفة مطلوب والاستعانة بهم لا بدَّ منها، ومثله الاستشارة فهي مطلب شرعيٌّ[2] وأدبٌ عظيمٌ وخُلقٌ نبيل.

اعلم أنَّ من الحزم لكلِّ ذي لُبٍّ ألاَّ يُبرِم أمرًا ولا يمضي عزمًا إلاَّ بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإنَّ الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ، مع ما تكفَّل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[3].

ولله در القائل:

شَاوِرْ سِوَاك إِذَا
يَومًا وَإِنْ كُنتَ مِنْ
فَالعَينُ تَلفَي

---

1 (?) سورة الأنبياء آية رقم 7.
2 (?) طالع فتح الباري (13/339 وما بعدها).
3 (?) الآية من سورة آل عمران رقم 159.

بِمِرْآةِ [1]

فاحرص يا أخي على هذه الآداب حتى تُوفَّق بإذن الله إلى الصواب.

* * *

(4) التدرُّج في القراءة

وهذا من الآداب المطلوبة المهجورة لدى كثير من القراء فالعلم لا يأتي في يوم وليلة. وكذا الفهم والاستفادة من الكتب لا يأتي إلاَّ بعد تدرُّجٍ وصبر؛ فقبل أن تُجرِّد المطولات وتبحث في الأمهات لا بدَّ من قراءة في المختصرات والمبسطات، وطالع ما قاله الإمام الزهري يرحمه الله تعالى وهو ينصح أحد الطلبة:

"يا يونس، لا تكابِد العلم؛ فإنَّ العلم أودية، فأيُّها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء

---

1 (?) كشف الخفاء (2/185-186).

مع الليالي والأيام"[1]

وترك بعضهم التدرج لعدَّة أسباب - فيما أعلم والعلم عند الله منها:

أ- استعجال الثمرة

ب- الحماسة الزائدة.

ج- المبالغة في الثقة بالنفس.

وبدون شك فالحماسة مطلوبة والثقة بالنفس ضرورية لطالب العلم، ولكن لا يفرط في استعمالها فتكون وبالاً عليه. فالعلم متلازم الأبواب كتلازم الأرقام فلا تصل إلى أحد الأرقام دون المرور بما قبله.

***

(5) ليس كلُّ ما في الكتب صوابًا

ومن الطريف أنَّ أحد العجم احتجَّ على الحافظ العرقي رحمه الله لأنه حكم على أحد الأحاديث بالوضع محتجًّا بأنه في كتب الحديث، ثم أتى بالكتاب فإذا هو

---

1 (?) الإلماع ص 220.

الموضوعات لابن الجوزي [1].

لذا على طالب العلم ألاَّ يتعجل في تقبُّل كل ما يقرؤه ممَّا هو عرضةً لنقاش، فقد يكون المؤلِّف عن حُسن قصدٍ أتى بحديثٍ ضعيفٍ مثلاً - وإن كان لا يُعذر على ذلك[2] - أو بمسألةٍ مرجوحة ظنًّا منه أنها راجحة، ونحن لا ندعو إلى إساءة الظن بالمؤلِّفين، بل ندعو إلى التثبُّت؛ فإنه ما من بشرٍ إلاَّ ومأخوذ من قوله ومردود إلا رسول الله ﷺ.

(6) اقرأ لتستفيد

والناس في حال القراءة أصناف ثلاثة:

أ - فمنهم من يقرأ أيَّ كتاب على أنه قرآن أو أحد الصحيحين فلا تثبُّت ولا مراجعة لِما يمرُّ به، بل كلُّ ما يمرُّ به صواب، وهذا مجانب للصواب.

ب- ومنهم من يقرأ أي كتاب لكشف أخطاء المؤلف وكشف عوارة - على حد

1 (?) فتح المغيث (1/253).

2 (?) طالع : تمام المنة في التعليق على فقه السنة ص 32-33.

زعمه - فهو يقرأ للنقد فقط، وهذا كسابقه مجانب للصواب.

ج- القراءة الناجحة، وهي فيما أعلم لا بدَّ فيها من أمرين:

- طلب الفائدة.

- النقد لما تقرأ مما يقبل النقد.

وليكن معلومًا أنَّ القراءة للاستفادة لا للاستكثار، فليست العبرة بعدة صفحات ننهيها أو فصل أو باب نختمه في كتاب، بل العبرة بما استفدت من هذا الكتاب.

(7) القراءة ليست هواية

فهي ليست هواية تكون علاقتك بها عشوائية، بل هي غذاء الرُّوح؛ فعليك بتخصيص جزء من يومك لها لا يشغلك عنها أي شاغل.

الفصل الرابع

عــوائق القــراءة

(1) عدم الفهم

وهذه مشكلة الكثير، فمنهم من يقول: «أقرا لكن لا أفهم»، أو من يقول «فهم أقوال العلماء فيه صعوبة» ونحو ذلك، وعلاج ذلك يسير على من يسَّر الله عليه، وهو على أمور:

أ- دعاء الله عزَّ وجلَّ بالفهم.

ب- سؤال أهل العلم عن المواطن التي لم تتَّضح بعد تعيينها وقراءتها قراءة متأنية.

ج- وجود ما يُعِين على الفهم مثل كتُب اللغة، لحلِّ ما استعجم من الكلمات أو شروح الحديث إن كان الذي لم يفهم حديثًا ونحو ذلك. ولهذه الطريقة لطالب العلم فوائد عظيمة منها:

- التعوُّد على تقليب الكتب والمراجعة فيها.

- الثروة العلمية.

(2) دنوُّ الهمَّة

قال الراغب الأصفهاني: «وأما كبر الهمة

فمختصٌّ بالإنسان»[1].

أخي في الله:

تجد بعض الناس - وللأسف - عنده دنو في همته مقرونًا بضعف في عزيمته، وكأنه مخلوقٌ من أجل النوم والمرح واللعب، فهو لا يعرف الكتب إلاَّ بأشكالها، ولا يعرف القراءة إلا بذكرها .. فلهذا مثل يقال:

قَدْ هَيَّئُوكَ لأَمْرٍ لَوْ
[2]

(3) الانشغال بالمغريات

في هذه الأوقات انشغل الناس بالمغريات ووقعوا في الملذَّات، وكان النتاج طبيعيًا، وهو أنَّ الكثير منهم يُفضل جلسة لهو على تصفُّح كتابٍ نافعٍ أو انشغالٍ بمباحٍ على عِلم يرفعه .. ولله درُّ الإمام يحيى بن أبي كثير حينما قال: «**لا يستطاع العلم براحة الجسم**»[3].

---

1 (?) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص 291.

2 (?) زاد المعاد (3/73).

3 (?) أخرجه مسلم (1/428 رقم 175) وهذا الأثر أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ولهذا الإخراج لطيفة مفيدة طالعها في المصدر

فطالع يا أخي تراجم علماء السلف، وكيف كانت أوقاتهم جلّها في طلب العلم، ومع ذلك هم في راحةٍ عظيمةٍ تفوق راحة الكثير من المتكاسلين الآن إن وُجد عندهم راحة.

هذه من أهم عوائق القراءة..

وقد توجد عوائق لدى بعضهم مثل عدم وجود الوقت المناسب وعدم وجود القرين والموجِّه الناصح، ومثله غلاء أسعار الكتب مع قلّة ذات اليد ونحوها.

* * *

المذكور وشرح النووي على مسلم (5/113-114).

الفصل الخامس

نصائح أهل العلم باقتناء بعض الكتب

(1) الخطيب البغدادي (392-463هـ)

قال رحمه الله تعالى:

* ويبتدئ بسماع الأمهات من كتُب أهل الأثر والأصول الجامعة للسنن.

* وأحقُّها بالتقديم كتابا «الجامع» و«المسند» الصحيحان لمحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم ابن الحجاج النيسابوري.

* ومما يتلو الصحيحين سنن أبي داود السجستاني وأبي عبد الرحمن النسوي وأبي عيسى الترمذي، وكتاب محمد بن إسحق بن خزيمة النيسابوري[1] الذي شرط فيه على نفسه إخراج ما اتصل سند بنقل العدل عن العدل إلى النبي ﷺ ثم كتب المسانيد الكبار، مثل مسند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه[2].

وأبي بكر عبد الله وأبي الحسن عثمان

---

1 (?) وقد طُبع جزء من كلا الكتابين مُحقَّقًا.

2 (?)وقد طُبع جزء من كلا الكتابين مُحقَّقًا.

ابني محمد بن أبي شيبة العبسي* وأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، وعبد بن حميد الكشي[1]، وأحمد بن سنان الوسطى*.

* ومن الطبقة التي بعد هؤلاء ما يوجد من مسند يعقوب بن شيبة السدوسي وإسماعيل بن إسحاق القاضي، ومحمد بن أيوب الرازي *، ومسند الحسن ابن سفيان النسوي*، وأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي[2].

* ثم الكتب المصنفة في الأحكام، الجامعة للمسانيد وغير المسانيد مثل كتُب ابن جريج وسعيد بن أبي عروبة وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينه وهشيم ابن بشير وعبد الله بن وهب والوليد بن مسلم ووكيع بن الجراح وعبد الوهاب بن عطاء[3] وعبد الرزاق بن همام [4] وسعيد بن منصور [5]، وغيرهم.

---

1 (?) وقد طُبع منتخبه محققًا.
2 (?) وقد اكتمل طبعه محققًا.
3 (?) وهذه الكتب كلّها لم تطبع بعد حتى تاريخه.
4 (?) وقد اكتمل طبعه.
5 (?) وقد طبع منه الجزء الثالث في قسـمين بتحقيـق

* ثم الكتب المتعلِّقة بعلل الحديث، فمنها كتاب أحمد بن حنبل وعلي بن المديني[1] وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي[2]والحافظ النيسابوري وأبي الحسن علي بن عمر الدار قطني [3]، وكتاب «التمييز» لمسلم بن الحجاج القشيري .. ثم ذكر بعض كتب الرجال ثم قال:

* وكتاب «الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

* ويربي[4] على هذه الكتب كلِّها تاريخ محمد إسماعيل البخاري[5].

حبيب الـرحمن الأعظمي والجـزء الرابـع في طريقـه للطبع بتحقيق شيخنا سعد الحميد.

1 (?) وقد طبع جزء منه.

2 (?) وهو مطبوع متداول.

3 (?) وقد طبع جزء كبير منه.

4 (?) الجامع للأخلاق الـراوي وآداب السـامع (2/184-187) وباختصار وحذف..

5 (?) قـال فضـيلة الشـيخ سـعد الحميـد: إنَّ كتـاب «التـاريخ الكبـير» للبخـاري لا يعـني بـذكر شـيء من ألفاظ الجـرح والتعـديل في الـراوي المـترجم لـه إلا نادرا بينما يتميز كتاب ابن أبي حاتم بذكر ذلك.
ويوجد في كتاب البخاري ما ليس في كتـاب ابن أبي حاتم من ذكر علل الأحاديث والإشـارة إليهـا بطريقـة يعرفها أصـحاب هـذا البـاب إلا أن كتـاب علـل الـدار

*   *   *

(2) ابن حزم رحمه الله تعالى

قال ابن حزم رحمه الله تعالى:

بل أَولى الكتب بالتعظيم الصحيحان، وصحيح سعيد بن السكن، والمنتقي لابن الجارود، والمنتقي لقاسم بن أصبغ.

ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود وكتاب النسائي، ومصنف قاسم بن أصبغ، ومصنف الطحاوي، ومسند البزار[1]، ومسند ابن أبي شيبة ومسند أحمد بن حنبل[2] ومسند ابن راهوية[3]، ومسند الطيالسي[4]، ومسند الحسن بن سفيان *، (ومسند سنجر *،

قطني يمتـاز عن كتـاب البخـاري بتوسـع الـدارقطني في ذكر علـل الأحـاديث والإكثـار من ذكـر الأحـاديث المعلولة وشبيه به كتـاب العلـل لابن أبي حـاتم على ما فيه من الاختصار فعلم من هذا أن لكتاب البخاري مزية ولغيره مزايا أخر.اهـ.

1 (?) وقد طبع جزء منه محققًا وزوائـده موجـودة في كشف الأستار وهو مطبوع.

2 (?) وهو مطبوع بأكمله وطبع جزء منه بتحقيق أحمـد شاكر رحمه الله.

3 (?) تقدم الكلام عليه.

4 (?) وهو مطبوع قديمًا في الهند.

ومسند عبد الله بن محمد المسندي *، ومسند يعقوب بن شيبة *، ومسند علي بن المديني *، ومسند ابن أبي غرزة *، وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صرفًا.

ثم بعدها التي فيها كلامه وكلام غيره، مثل مصنف عبد الرزاق [1] ، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة [2]، ومصنف بقي بن مخلَّد *، وكتاب محمد بن نصر المروزي *، وكتاب أبي بكر بن المنذر الأكبر والأصغر *، ثم مصنف حمَّاد بن سلمه *، ومصنف سعيد بن منصور [3]، ومصنف وكيع *، ومصنف الفرياني *، وموطَّأ مالك بن أنس، وموطأ ابن أبي ذئب *، وموطأ أبن أبي وهب *، ومسائل أحمد بن حنبل [4]، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور [5].

* * *

1 (?) تقدم الكلام عليه.
2 (?) وهو مطبوع محقق.
3 (?) مر الكلام عليه.
4 (?) وجز كبير منها مطبوع.
5 (?) تذكرة الحفاظ (3/1153).

(3) العز بن عبد السلام

قال الذهبي رحمه الله:

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان أحد المجتهدين: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلي» لابن حزم وكتاب «المغني» للشيخ موفَّق الدين.

قلت: لقد صدق الشيخ عز الدين وثالثهما: «السُنن الكبير» للبيهقي ورابعها: «التمهيد» لابن عبد البرِّ، فمن حصل هذه الدواوين وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقًّا [1]*.

قال فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي:

ذكرت هذا لشيخنا الألباني فزاد عليها كتابًا خامسًا هو كتاب «المجموع» للإمام النووي رحمه الله.

قلت «القائل علي بن حسن»، وحق لكتاب فتح الباري أن يكون سادسها لعظيم فائدته وواسع مادته [2].

---

1 (?) سير الأعلام النبلاء (18/193).
2 (?) الكاشف في تصحيح رواية البخاري ص 12.

* * *

(4) محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى:

قال رحمه الله:

وحصر الكتُب النافعة لا يمكن لكثرتها، ولا بأس من الإشارة إلى بعضها من الكتب النافعة المشهورة، فمنها في التفسير تفسير ابن جرير[1] وابن كثير والبغوي[2]، ونحو هذه من تفاسير السلف النافعة المفيدة الموثوق بها، ومن كتب الحديث صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد بن حنبل وسُنن أبي داود والترمذي والنسائي وموطأ مالك، وغير ذلك من كتب الحديث المشهورة المعروفة. وأمَّا في التوحيد والاعتقاد فهي كثيرة كمصنفات أئمَّة السلف كالإمام أحمد وغيره من الأئمَّة ككتب من اشتُهِر بنصر السنة والقيام بها كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه كشمس الدين ابن القيم رحمهم الله وغيرهم،

---

1 (?) وهو مطبوع بأكمله وحقق جزء منه أحمـد شـاكر رحمه الله ولم يكمله.

2 (?) وقد اكتمل طبعه مُحقَّقًا.

ككتب أئمَّة الدعوة النجدية كالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالي والشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد اللطيف وغيرهم من أئمَّة الدعوة وعلمائها ممن اشتهر بنصر السنة والمناضلة عنها.

والله الموفق، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا [1].

(5) ناصر الدين الألباني

له أثابه الله نصيحة مفيدة أذكرها بتمامها .. قال:

1- الفقه: «كتاب فقه السنة».

ينبغي الانطلاق بعض الشيء من التقيُّد بدراسة هذا الكتاب فقط[2] إلى كتاب آخر

---

1 (?) مجموع فتاوى مهمة : جمع وتحقيق الشيخ عبد الله الجار الله ص 22 - 23.

2 (?) ولفضيلة الشيخ ناصر الألباني تعليقات وتعقيبات على كتاب فقه السنة وهي نافعة طبع المجلد الأول منها تحت اسم «تمام المنة في التعليق على فقه السنة»، فمن كان لديه كتاب «فقه السُنة»، فعليه

ننصح به وهو «الروضة الندية شرح الدرر البهية» لصديق حسن خان.

وهناك كتاب مشابه له ولكن أصغر حجمًا اسمه «الدراري المضية شرح الدرر البهية»، شرحه ومتنه للشيخ الشوكاني نفسه. وهناك فارق بين الشوكاني وصديق حسن خان من جهة وسيد سابق من جهة أخرى في تمثُّل المنهج العلمي السلفي، ظاهرة هذا التمثل في الكتابين المذكورين أكثر بكثير منها في كتاب «فقه السنة» لسيد سابق، فكتاب سيد سابق في نقدي يمثل المنهج العلمي الذي يجري عليه كثيرٌ من أساتذة الشريعة في تدريس ما يُسمُّونه بـ«الفقه المقارن»، فهو كما نراه يعالج المسألة ويذكر أقوال العلماء فيها وأدلَّة كلِّ فريق، تارةً يُرجِّح أحدها وتارة يترك المسألة معلَّقة.

وكأثر لمثل هذه الدارسة يخرج الطالب من كلية الشريعة حيران من الناحية الفقهية ليس عنده مذهبه القديم الذي عاش عليه ولا عنده الخطة التي يدعو إليها

أن يقرأه بكتاب «تمام المنة» والله أعلم.

الشوكاني والصنعاني وأمثالهما. ونحن نريد أن يقوى في شبابنا المسلم الذي يريد الفقه حبُّ الطريقة الشخصية البارزة العلمية التي تعتمد على أدلَّة الكتاب والسنة، ولا يترك المسائل مائعةً؛ حيث إنَّ كلَّ امرئ يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء.

2- السيرة:

مع الأسف مثل هذا الطب عزيز جدًّا في السيرة؛ فقد سدَّ فقه السنة فراغًا، ولكن فقه السيرة للغزالي مثلاً لم يتتبَّع كلَّ مراحل السيرة، بل أنه يلتقط مقتطفات من السِّير ويُعلِّق عليها ويوجِّهها، فليس لدينا ما نرجع إليه في السيرة إلاَّ المؤلفات القديمة الماضية، وأجمعها وأصحّها السيرة النبوية للحافظ ابن كثير الدمشقي، وهي جزء من تاريخ «البداية والنهاية) طبع مستقلاً في ثلاث أو أربع مجلدات، ويأتي بعدها السيرة في كتاب «زاد المعاد» لابن القيم، ولكنَّ مشكلته أنه يتوسَّع جدًّا في النواحي الفقهية رغم أنه أسهل تناولاً من سيرة ابن كثير.

والواقع أنه كانت لديَّ النية منذ سنين لاختصار سيرة ابن كثير، وقد بدأتُ بذلك،

ولكني وجدتُ الأمر مُتعِبًا حدًّا فتركته .. وأرجو الله أن يُيسِّر لهذا الكتاب من يُلخِّصه ويُخرِّجه تخريجًا مُختصَرًا مفيدًا، لهذا فليس عندي كتاب أنصح به في السيرة.

وأمَّا سيرة ابن هشام فلا يُوثَق بها، ففيها الكثير جدًّا من الروايات غير الصحيحة ومشكلتها أيضًا تشبه مشكلة ابن كثير فهو يسوق الروايات مع أسانيدها التي قد تكون فيها علل كثيرة دون بيان حالتها وكتابنا اليوم يعزون رواياتهم إلى سيرة ابن هشام: جزء كذا صفحة كذا، وكأنهم يعزون إلى صحيح البخاري، وإذا رجعت إلى السند تجده واهيًا ضعيفًا.

وأما مختصر سيرة الرسول للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فلم تكن على منهج علمي حتى إنه قد أورد قصة الغرانيق العلي [1] وهي قصة تهدم القرآن كله.

3- العقيدة:

المصيبة العظمى التي وقع فيها كثير من

---

1 (?) طالع : «نصب المجانيق لنسـف قصـة الغرانيق» للألباني .. دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق لعلي حسن.

عامة المسلمين وبعض خاصتهم ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالى في الشدائد والمصائب، حتى أنك لتسمع جماعات متعدِّدة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم ويطلب منهم من الحاجات المختلفة بلغات متباينة فهم عند المستغيثين بهم يعلمون مختلف لغات الدنيا، ويميزون كل لغة عن الأخرى، ولو كان الكلام بها في آنٍ واحد!.. وهذا هو الشرك في صفات الله تعالى الذي جهله كثير من الناس فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرى.

ويبطل هذا ويَرُدُّ عليه آياتٌ كثيرة، منها قوله تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً﴾**[1].

والآيات في هذا الصدد كثيرة، بل قد أُلِّف في بيانٍ ذلك كتُب ورسائل عدَّة، فمن كان في شكٍّ من ذلك فليرجع إليها يظهر له الحقُّ إن شاء الله، ومن أجمعها

---

1 (?) سورة الإسراء.

«مجموعة التوحيد النجدية» فعليك بمطالعتها. ومنها «قاعدة جليلة في التوسع والوسيلة» و«الرد على البكري» لشيخ الإسلام ابن تيمية[1].

(6) بكر بن عبد الله أبو زيد

قال رحمه الله :

عليك بالكتُب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقُّه في علل الأحكام والغوص على أسرار المسائل، ومن أجلِّها كتُب الشيخين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وتلميذه ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى:

وعلى الجادة في ذلك من قبل ومن بعد كتب:

1- الحافظ ابن عبد البر (م سنة 463هـ) رحمه الله تعالى، وأجل كتبه «التمهيد».

2- الحافظ ابن قدامة (م سنة 620هـ) رحمه الله تعالى وأرأس كتبه «المغنى».

---

1 (?) حياة الألباني (1/430-432).

3- الحافظ ابن الذهبي (م سنه 748هـ) رحمه الله تعالى.

4- الحافظ ابن كثير (م سنة 774هـ) رحمه الله تعالى.

5- الحافظ ابن رجب (م سنة 795هـ) رحمه الله تعالى.

6- الحافظ ابن حجر (م سنة 852هـ) رحمه الله تعالى.

7- الحافظ الشوكاني (م سنة 1250هـ) رحمه الله تعالى.

8- الإمام محمد بن عبد الوهاب (م سنة 1206هـ) رحمه الله تعالى.

9- كتب علماء الدعوة ومن أجمعها «الدُّرر السنية».

10- العلامة الصنعاني (م سنة 1182هـ) رحمه الله تعالى، لاسيما كتابه النافع «سُبل السلام».

11- العلامة صديق حسن خان القنوجي (م سنة 1307هـ) رحمه الله تعالى.

12- العلامة محمد الأمين الشنقيطي (م

سنة 1393هـ) رحمه الله تعالى لاسيما كتابه «أضواء البيان»[1].

1 (?) حلية طالب العلم ص 76 - 77.

الخاتمة

أخي في الله:

وبعد قراءتك لهذه الرسالة التي أرجو من الله أن ينفع الجميع بها، أذكرك أخي بأمرين:

* الأمر الأول: أقول لك كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فيا أيها القارئ له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبه المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروضٌ عليك، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك ثمرته وعليه عائدته، فإن عدم منك حمدًا وشكرًا فلا يعدم منك عُذرًا. وإن أبيت إلاَّ الملام فبابه مفتوح [1].

* الأمر الثاني: إنَّ مثل هذا العمل وغيره من الأعمال الدعوية مثل الإلقاء والوعظ، كلها - إذا أخلصت فيها النيات وتوبع فيها هدي النبي ﷺ - دعوة عظيمة بالرجوع بهذه الصحوة المباركة إن شاء الله إلى ما كان

---

1 (?) طريق الهجرتين ص21، 22.

عليه النبي وأصحابه؛ فلا تحرم نفسك من هذا الخير العظيم.

* * *

الفهرس